6/ مدرسة كوبنهاغن

(هيلمسليف)

6/ مدرسة كوبنهاغن (هيلمسليف) *Louis Hjelmslev*[1]:

شهد شمال أوربا ولادة حركة لسانية متميزة في مطلع القرن العشرين تأثرت في نشأتها بمبادئ دي سوسير المؤسس الأول للسانيات البنيوية ثم تطورت لتستقل بمنهج متميز وأفكار جديدة[2]. ونشأت هذه الحركة على يد عالمين لسانيين دانماركيين هما: أوتو جسبرسن *ersen oTTo. jesp* (*1860- 1943*) ، وهولدر بدرسن *Holder pedersen*، و قد أثرت مؤلفاتهما في البحث اللغوي فكتب الأول كتابه "اللغة" الذي نشر سنة *1922*، وكتب "فلسفة النحو" الصادر سنة *1924*، و كتب الثاني "علم اللساني في القرن التاسع عشر"[3].

تبلورت هذه الحركة كمدرسة سنة *1931* حاملة مشعل اللسانيات البنيوية مع إبعاد اللغة و دراسة ظواهرها عن التأثير الفلسفي و الأنتروبولوجي" و لئن كان بعض الباحثين ينظرون إلى هذا العمل في ميدان اللسانيات على أنه لا يمثل مدرسة بأتمّ معنى الكلمة ، بل مجرد نظرية لسانية تعرف باسم الجلوسيماتيك (*Glo*ssématique) ، فإن بعضهم الآخر يعدها مدرسة كوبنهاجية أو مدرسة دانماركية لأن مؤسسيها الأوائل دانماركيون "[4]

يعتبر لويس هيلمسليف *louis Hjelmslev*(1899- *1965*)[5] ، الذي كتب مؤلفه الشهير "مقدمة في نظرية اللغة"، و الذي يعتبر من أهم و أبرز مؤسسي هذه المدرسة، نظرا للخدمات الجليلة التي قدمها في سبيل بلورة المبادئ العامة للمدرسة ، لاسيما وقد اتّجه فيها توجها وضعيا منطقيا روّج له - في محافل علمية متعددة- رواد حلقة فيينّا *vienne*

---

[1] - يعتبر هيلمسليف المؤسس، والمنظر، والناطق الأول باسم حلقة كوبنهاجن، حيث تقدم عام *1935* بنظرية جديدة حول الفونيم سماها بالنظرية الجلوسيماتيكية *Glossématique* و نشرها في كتاب صدر سنة *1943* بعنوان "مقدمات لنظرية في علم اللغة"، و هو من اللسانيين الأوائل الذين اهتموا بصورة جدية بالرياضيات و المنطق الرياضي و المنهجية العلمية. ينظر: ميشال زكريا، الألسنية – علم اللغة الحديث – المبادئ و الأعلام ، ص246.

[2] ينظر : أحمد عزوز، "المدارس اللسانية"، (أعلامها، مبادؤها، ومناهج تحليليها للأداء التواصلي)، دار أهل الرضوان، وهران، ط1، 2012، ص 131.

[3] ينظر المرجع نفسه ، ص 132 وما بعدها.

[4] ينظر : أحمد عزوز، المدارس اللسانية، ص: 131.

[5] الطيب دبة ، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص:116.

النمساوية، والتي كانت تؤكّد على أنّ العلم لا يمكنه أن يحقق التقدم والاستمرارية في بناء صرحه بالموضوعية والدقة العلمية اللازمتين إلا بأمرين مهمّيْن هما[1]:

الأول: تجنب الميتافيزيقا وكل الفلسفات التأملية خاصة ذات التوجه المتعالي.

الثاني: ضرورة توظيف لغة علمية متطورة وصارمة بحيث تكون خالية من كل الأوهام الفلسفية، وهي لغة المنطق الرياضي المجردة.

ومن ثمّ تبنّت المدرسة الغلوسيماتيكية النظرية المنطقية للغة ، حيث اعتبرت اللغة نظاما صوريا يقوم على المنطق الذي أثر في آراء لويس هلمسليف، على طريقة فيجو برونـدال Viggo Brondal (1887–1942) الرائد الأول لهذه المدرسة، فبعد وفاته أصبح هيلمسلف المنظر لهذا الاتجاه، الذي تحول إلى النظرية الغلوسيمية أو الغلوسيماتيكية، ومن أهم ما قامت عليه مدرسة كوبنهاغن (الجلوسيماتيكية) في دراستها للظواهر اللسانية:

ـ الاعتماد على معيار التقابل لدراسة الظواهر اللسانية المختلفة.

ـ الجمع بين أفكار دي سوسير و بين المنطق الرياضي، كما تخلى هذا الاتجاه عن الدراسات اللغوية المتأثرة بالفلسفة، والأنثروبولوجيا، واللسانيات المقارنة، ويحاول أن ينظم لسانيات علمية رياضية منطقية.

و يدل مصطلح الجلوسيم Glosséme على توجه خاص في الدراسة اللسانية أُعلن عنه خلال مؤتمر للحلقة الدولية لعلم اللغة بكوبنهاجن سنة 1936 [2] ومنها جاء اسم المدرسة، إذْ ينطلق هيلمسليف في نظريته من مفاهيم دي سوسير حول قضايا اللغة التي وردت في محاضراته، ولاسيما ما تعلّق بحقيقتين جوهريتين هما[3]:

- اللغة ليست مادة Forme بل شكلا Substance .

- اللغات تتباين من حيث المستوى التعبيري Expression، والمحتوى Contenu، وهما مستويان متّحدان لا ينفصلان في الدليل اللساني عند سوسير.

---

[1] ينظر: بريجيته بارتشيه، مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، ص201.

[2] الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إبستمولوجية، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، ط2، 2019، ص 117.

[3] شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص21.

وقد دقق في هيلمسليف عرضها، حتى تميزت نظريته عن النظريات اللسانية الأخرى بالإغراق في التجريد النظري، كما جاءت بمصطلحات علمية جديدة منها: مادة المحتوى، وشكل المحتوى، وشكل التعبير، ومادة التعبير[1]. فـ"هيلمسليف" طور التحليل اللساني بإقحام إجراءات عملية رياضية، و"حاول عصرنة الدراسات اللغوية باستخدام مناهج علمية رياضية"[2] تميّزت بها مدرسة كوبنهاغن عن مدرسة براغ.

منهج التحليل الجلوسيمي ومبادؤه:

1- اعتماد مصطلحات خاصة وجديدة: تقوم المدرسة الغلوسيمية على مجموعة من المصطلحات بعضها جديد، وبعضها الآخر قديم في حلّة جديدة، وأبرزها:

- الجلوسيمات، وهي تلك الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة، كما استعمل هلميساف مجموعة من المصطلحات منها: مستوى التعبير، ومستوى المحتوى (المضمون)، والنظام (*système*)، والنص، والتحليل، والمتغير (*variant*)، والتحفيز، والهيكل(النمط أو المخطط)، واستبدل هيلمسليف ثنائية اللغة والكلام لدي سوسير بثنائية أخرى أطلق عليها الهيكل والاستعمال.

وللمزيد من التوضيح يمكن الاستعانة بالجدول المصطلحي الآتي:

دي سوسير	هلمسليف
1. اللغة	*1*. الهيكل/ المخطط (*Shéma*)
2. الكلام	*2*. الاستعمال (*Usage*)
3. اللغة في شكلها المادي	*3*. القاعدة/ المعيار (*Norme*)
4. الدال والمدلول	*4*. مستوى التعبير ومستوى المحتوى (المضمون)

3-تأسيس نظرية لسانية وصفية علمية تقوم على مقدمات منطقية بديهية و على مبادئ معرفية أبرزها:

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص159.

[2] المرجع نفسه، ص169.

أ – *مبدأ التجريبية* : اعتمد فيه هيلمسيلف الجمع بين ثلاث معايير أساسية هي: اللاتناقض والشمولية والتبسيط "[1].

ويرى أن الدراسة العلمية الموضوعية لابد أن تقوم على احترام هذا المبدأ؛ ذلك أن التراكيب المنطقية تقوم على قاعدة الجمع بين هذه المعايير دونما تناقض بين الظواهر اللّسانية، كما عليها أن تراعي أبسط وصف للوصول إلى النتائج.

ب- *مبدأ الإحكام و الملاءمة*: ويقصد بالإحكام الاعتباطية عند دي سوسير، وأمّا الملاءمة.

و الإحكام عند هلمسليف يعني الاتساق التام « أي تكون النتائج الطبيعية لأي قضية تابعة لمقدماتها المنطقية » [(1)] ، فلابد أن تكون النظرية اللسانية مبنية على أسس منطقية حتى يكون بالإمكان تطبيقها على نصوص لغوية. أما الملاءمة فتتمثل في أن تلبي مقدمات النظرية شروط التطبيق أي تكون ملائمة و قابلة للتطبيق على المعطيات التجريبية.

عُد (هيلمسليف) أحد البنيويّين الّذين شرعوا في تأسيس علم الدللة انطلاقًا من مقولة التشابه بين مستويي التعبير والمحتوى، وهو المطوِّرُ للمشروع السوسيري المتعلق بهذا المنحى. وهذا ما يبرر اهتمام هلمسليف بالتحليل الوظيفي للوحدات اللسانية في ظل النظام البنيوي القائم على مجموع العلاقات التي تربط الوحدات اللسانية، شكل وليس جوهر، وعلى ذلك فمهمّة اللساني هي إنشاء نظرية ذات نسق صوري يمتاز بالطابع الشكلي. ولذلك « يرى هلمسليف أن اللسان ليس قائمة من المفردات، بل يكمن جوهره في العلاقات النسقية الموجودة بين وحداته"[2]، وهو الاتجاه الّذي عُرف به هيلمسليف، وأطلق عليه مصطلح "الغلوسيماتيك"، واعتماده في استنباط خصائص اللّغة على ثوابت من ذات اللّغة، لا على ما هو خارج عنها.

وعلى هذا الأساس عمل هلمسليف على ضبط ثنائية سوسير التي تفرق بين اللغة والكلام بما يكفي للإشارة إلى العلاقة الوظيفية التي تربط بينهما، حيث قام بضبط تصوره عن اللغة- باعتبارها الموضوع الأساس لعلم اللسان- انطلاقا من تحديده لثلاثة مفاهيم هي[3]:

---

[1] أحمد مومن، اللسانيات - النشأة والتطور- ، ص 164.

[2] أحمد عزوز، المدارس اللسانية، ص140.

[3] المرجع السا، ص 140.

أ- الهيكل: يمثل اللغة كشكل صوري ونموذجي في الوقت نفسه.

ب- القاعدة: تمثّل اللغة كشكل مادي ينتهجه المتكلم.

ج- الاستعمال: يمثّل اللغة كمجموعة من العادات الخاصة بالمتكلمين.

إذن، يبني هيلمسليف تصوره للغة انطلاقا من هذه المفاهيم الثلاثة على التوالي: الهيكل(أو المخطط) ويعني النظر إلى اللغة من حيث هي صورة (أو شكل)، خالصة من مظهرها المادي و تحقيقاتها الاجتماعية، في حين يقصد بالقاعدة (أو المعيار) تحديد اللغة من حيث هي مظهر مادي في ظل تحقيقاتها الاجتماعية الخالصة، وأما الاستعمال، فيقصد به النظر إلى اللغة من حيث تطبيقاتها الفعلية عند المتكلم؛ أي الإنجاز الفعلي للغة في الواقع.

ومجمل الأمر أنّ العلامة اللغوية عنده علاقة تجمع بين مستوى التعبير ومستوى المحتوى، من حيث يتكون الأول من الهيكل الصوتي أو الخطي للفكرة، فيما يتكون الثاني من عالم الأفكار المُعبّر عنها في اللغة، و كل مستوى يخضع بدوره لثنائية الشكل والمادة، كما يلي[1]:

أ- **شكل المحتوى أو المضمون**: و هو تقريبا ما أشار إليه دي سوسير بلفظ المدلول الذي اكتسى قالبا محددا، و يقصد به أيضا البنية المعجمية والتركيبية.

ب- **مادة المحتوى أو المضمون**: و تمثلها الأفكار، أي الواقع الخارجي كما هو قبل أن تتناوله اللغة بالبناء و التنظيم.

ج- **شكل التعبير**: ويقصد به الدال، ويهتم بالدراسة الفونولوجية (Phonologie).

د- **مادة التعبير**: و يقصد بها مجموعة الأصوات المنطوقة في شكلها المادي (مادة الأصوات من المنظور الأكوستيكي والنطقي)، وهي مادة البحث الفونتيكي Phonétique.

ويمكن ملاحظة أن كل ما هو موجود في مادة التعبير و مادة المحتوى من مادة صوتية في الأولى وأفكار في الثانية يمكن أن تكون مشتركة بين سلسلة من اللغات، غير أن شكل التعبير وشكل المحتوى يختلفان من لغة إلى أخرى، على أن يمثل الأول الطرق التي تتوافق فيها الأصوات، ويمثل الثاني طرق ترتيب الأفكار الخاصة بكل لغة.

ويشير هلمسليف إلى وجود صلة بين شكل التعبير و شكل المحتوى تتمثل في مبدأ الاستبدال، فعملية الاستبدال بين النون و القاف في قال- نال، ينجم عنها تمييز في مستوى

[1] ينظر: أحمد مومن، "اللسانيات – النشأة و التطور"، ص 162، 163.

التعبير، وهدف هلمسليف من هذا التقسيم هو التركيز على دراسة الجانب الصوري الشكلي للظواهر اللسانية، كما يوضح الشكل الآتي[1]:

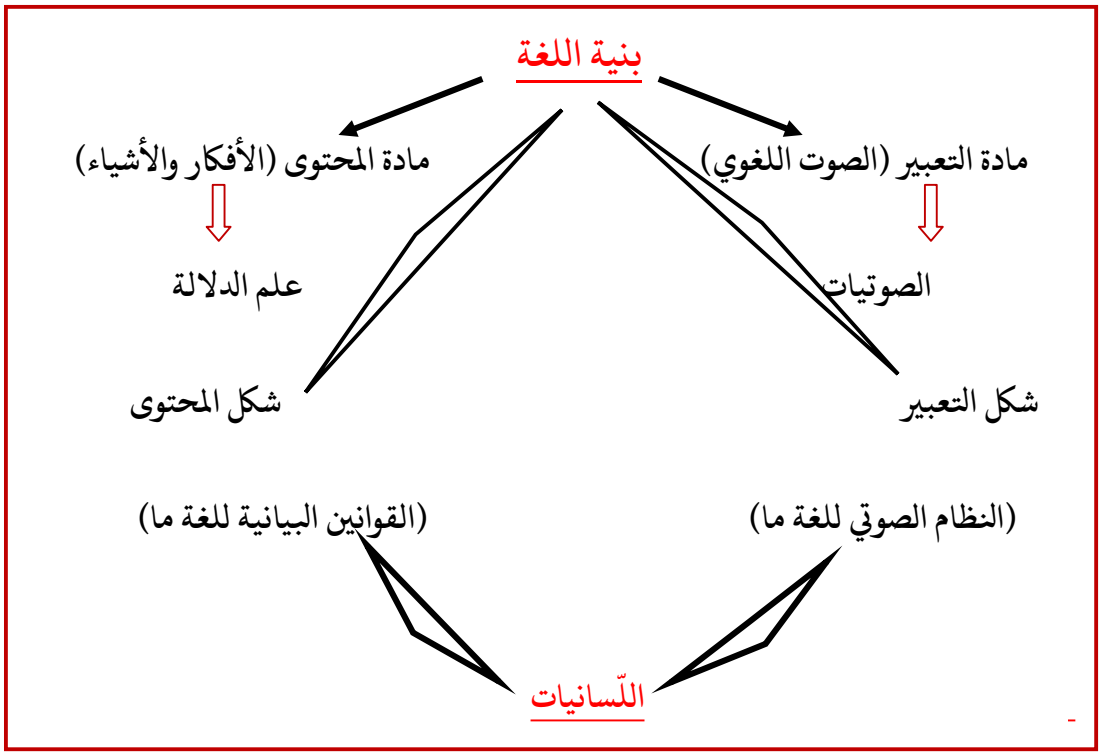

يتضح من خلال هذا الشكل أن مادة التعبير و شكله هي موضوع دراسة الصوتيات، ومادة المحتوى وشكله هي موضوع دراسة علم الدلالة، و قد اعتبر هيلمسليف الصوتيات وعلم الدلالة علميْن مساعديْن وليْسا من اللسانيات.

وعلى الرغم من الأهمية العلمية لهذه النظرية، إلا أنه يؤخذ عليها أنّها أوغلت في التجريد والتصنيف، دون أن تقدم علميا ما يمنحها أهمية في ميدان التطبيق، كما أنها أقصت المادة الصوتية التي لا يتم التحليل إلاّ بها، وعجزت عن دراسة اللغات غير المعروفة أو التي لم تعرف.

[1] الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص 118.